مَعْنَىٰ ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

وَلَيْسَ كُلُّ عَمَلٍ يَتَقَرَّبُ العَبْدُ بِهِ إِلَىٰ الله يَكُونُ مُتَقَبَّلًا، بَلِ الْمُتَقَبَّلُ مِنَ العَمَلِ هُوَ (الصَّالِحُ) فَقَطْ، وَ(الصَّالِحُ) هُوَ مَا كَانَ لله وَحْدَهُ وَعَلَىٰ هَدْيِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ وَلِهَذَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: {الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً} (المُلْك/ ٢).

فَلِكَيْ يَكُونَ (العَمَلُ) مَقْبُولًا عِنْدَ الله؛ يُشْتَرَطُ فِيهِ الإِخْلَاصُ لله عَزَّ وَجَلَّ، وَالْمُتَابَعَةُ لِلرَّسُولِ الكَرِيمِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ فَهُمَا –الإِخْلَاصَ، وَالْمُتَابَعَةَ– شَرْطَا قَبُولِ الأَعْمَالِ كُلِّهَا؛ فَلَا قَبُولَ لِأَيِّ عَمَلٍ مِنَ الأَعْمَالِ إِلَّا بِهِمَا.

قَالَ **ابْنُ كَثِيرٍ** فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ (الكَهْف/ ١١٠): «وَهَذَانِ رُكْنَا العَمَلِ الْمُتَقَبَّلِ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ: خَالِصًا لله، صَوَابًا عَلَىٰ شَرِيعَةِ رَسُولِ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ».

قَالَ **ابْنُ القَيِّمِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي الفَوَائِدِ (ص ٦٧): «العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملا ينقله ولا ينفعه».

عَنْ **إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْعَثِ**؛ ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (هُود/ ٧) قَالَ:[1] «أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ، قَالَ: «إِنَّ الْعَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ حَتَّىٰ يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا، وَالْخَالِصُ إِذَا كَانَ لله، وَالصَّوَابُ: إِذَا كَانَ عَلَىٰ السُّنَّةِ».

---

(١) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِهِ "الإِخْلَاص وَالنِّيَّة" (ص٥٠ – ٥١).

قَالَ **الفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ** فِي مَعْنَى الآية:(١) «أَيْ: أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ». قِيلَ: يَا أَبَا عَلِيٍّ! وما أخلَصُهُ وأَصْوَبُه قال: «إِنَّ الْعَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ؛ حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا، وَالخَالِصُ أَنْ يَكُونَ للهِ، وَالصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ عَلَى السُّنَّةِ».

وَالأَحَادِيثُ فِي هَذَا البَابِ كَثِيرَةٌ؛ **مِنْهَا**:

وَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(٢) «نَضَّرَ اللهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي هَذِهِ فَحَمَلَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ الْفِقْهِ فِيهِ غَيْرُ فَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ الْفِقْهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ. ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ صَدْرُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ للهِ، وَمُنَاصَحَةُ أُولِي الْأَمْرِ، وَلُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ».

وَعَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(٣) «إِنَّ اللهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يَقُولُ: أَنَا خَيْرُ شَرِيكٍ، فَمَنْ أَشْرَكَ مَعِيَ شَرِيكًا فَهُوَ لِشَرِيكِي. يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَخْلِصُوا أَعْمَالَكُمْ للهِ؛ فَإِنَّ اللهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لَا يَقْبَلُ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا مَا خَلَصَ لَهُ، وَلَا تَقُولُوا: هَذَا للهِ وَلِلرَّحِمِ؛ فَإِنَّهَا لِلرَّحِمِ وَلَيْسَ للهِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَلَا تَقُولُوا: هَذَا للهِ وَلِوُجُوهِكُمْ؛ فَإِنَّهَا لِوُجُوهِكُمْ وَلَيْسَ للهِ فِيهَا شَيْءٌ».

---

(١) رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الحِلْيَةِ (٨/ ٩٥).

(٢) حَدِيثٌ صَحِيحٌ؛ وَرَدَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَالنُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، وَأَبِي قَرْصَافَةَ، وَجَابِرٍ، وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَجُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، وَأَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ.

(٣) رَوَاهُ الْبَزَّارُ (٤/ ٢١٨ كَشْف الأَسْتَار)، وَالدَّارَقُطْنِيُّ فِي سُنَنِهِ (١/ ٥١، ٧٧)، وَالبَيْهَقِيُّ فِي الشُّعَبِ (٩/ ١٥٩)، وَغَيْرُهُمْ، قَالَ الهَيْثَمِيُّ فِي المَجْمَعِ (١٠/ ٢٢١): "رَوَاهُ الْبَزَّارُ عَنْ شَيْخِهِ: إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَحْشَرٍ، وَثَّقَهُ ابْنُ حِبَّانَ وَغَيْرُهُ، وَفِيهِ ضَعْفٌ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ رِجَالُ الصَّحِيحِ". وَقَدْ تُوبِعَ إِبْرَاهِيمُ هَذَا؛ تَابَعَهُ سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الوَاسِطِيُّ وَهُوَ ثِقَةٌ. وَانْظُرْ: الصَّحِيحَة (ح ٢٧٦٤).

وَوَرَدَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:(١) «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ».

❁❁❁❁❁❁

إِنَّ (العَمَلَ الصَّالِحَ) هُوَ الثَّمَرَةُ الطَّبِيعِيَّةُ (لِلإِيمَانِ)، وَالحَرَكَةُ الذَّاتِيَّةُ الَّتِي تَبْدَأُ فِي ذَاتِ اللَّحْظَةِ الَّتِي تَسْتَقِرُّ فِيهَا حَقِيقَةُ الإِيمَانِ فِي القَلْبِ. فَـ(الإِيمَانُ) حَقِيقَةٌ إِيجَابِيَّةٌ مُتَحَرِّكَةٌ؛ مَا إِنْ تَسْتَقِرُّ فِي القَلْبِ حَتَّىٰ تَسْعَىٰ بِذَاتِهَا إِلَىٰ تَحْقِيقِ ذَاتِهَا فِي الخَارِجِ فِي صُورَةِ (عَمَلٍ صَالِحٍ).

هَذَا هُوَ (الإِيمَانُ) الإِسْلَامِيُّ .. لَا يُمْكِنُ أَنْ يَظَلَّ خَامِدًا لَا يَتَحَرَّكُ، كَامِنًا لَا يَتَبَدَّىٰ فِي صُورَةٍ حَيَّةٍ خَارِجَ ذَاتِ المُؤْمِنِ .. فَإِنْ لَمْ يَتَحَرَّكْ هَذِهِ الحَرَكَةَ الطَّبِيعِيَّةَ فَهُوَ مُزَيَّفٌ أَوْ مَيِّتٌ؛ شَأْنُهُ شَأْنُ الزَّهْرَةِ لَا تُمْسِكُ أَرِيجَهَا؛ فَهُوَ يَنْبَعِثُ مِنْهَا انْبِعَاثًا طَبِيعِيًّا، وَإِلَّا فَهُوَ غَيْرُ مَوْجُودٍ!

وَمِنْ هُنَا قِيمَةُ (الإِيمَانِ) .. إِنَّهُ حَرَكَةٌ وَعَمَلٌ وَبِنَاءٌ وَتَعْمِيرٌ ، يَتَّجِهُ إِلَىٰ اللهِ .. إِنَّهُ لَيْسَ انْكِمَاشًا وَسَلْبِيَّةً وَانْزِوَاءً فِي مَكْنُونَاتِ الإِنْسَانِ، وَلَيْسَ مُجَرَّدَ نَوَايَا طَيِّبَةٍ لَا تَتَمَثَّلُ فِي حَرَكَةٍ، وَهَذِهِ طَبِيعَةُ الإِسْلَامِ البَارِزَةُ الَّتِي تَجْعَلُ مِنْهُ قُوَّةَ بِنَاءٍ كُبْرَىٰ فِي صَمِيمِ الحَيَاةِ.

وَهَذَا مَفْهُومٌ مَا دَامَ (الإِيمَانُ) هُوَ الِارْتِبَاطُ بِالمَنْهَجِ الرَّبَّانِيِّ، وَهَذَا المَنْهَجُ حَرَكَةٌ دَائِمَةٌ مُتَّصِلَةٌ فِي صَمِيمِ الوُجُودِ، صَادِرَةٌ عَنْ تَدْبِيرٍ، مُتَّجِهَةٌ إِلَىٰ غَايَةٍ.

وَقِيَادَةُ (الإِيمَانِ) لِلْبَشَرِيَّةِ هِيَ قِيَادَةٌ لِتَحْقِيقِ مَنْهَجِ الحَرَكَةِ الَّتِي هِيَ طَبِيعَةُ الوُجُودِ .. الحَرَكَةُ الخَيِّرَةُ النَّظِيفَةُ البَانِيَةُ المُعَمِّرَةُ اللَّائِقَةُ بِمَنْهَجٍ يَصْدُرُ عَنِ (اللهِ).

❁❁❁❁❁❁

(١) رَوَاهُ وَالنَّسَائِيُّ (٦/ ٢٥ ح ٣١٤٠)، وَالطَّبَرَانِيُّ (٨/ ١٤٠ ح ٧٦٢٨)، قَالَ الحَافِظُ فِي الفَتْحِ (٦/ ٢٨): إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ. وَقَالَ الأَلْبَانِيُّ : حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وَلَابُدَّ أَنْ يُصَاحِبُ (العَمَلَ الصَّالِحَ) **خَوْفٌ** مِنَ (اللهِ)، وَلَهُ صِوَرٌ عَدِيدَةٌ؛ **مِنْهَا**:

١. الخَوْفُ مِنْ عَدَمِ قَبُولِ العَمَلِ:

عَنْ عَائِشَةَ؛ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ:(١) سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ (المُؤْمِنُون/ ٦٠)؛ قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: «**لَا، يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ! وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾** (المُؤْمِنُون/ ٦١)».

٢. الخَوْفُ مِنَ الِانْتِكَاسِ وَالعَوْدَةِ لِلذُّنُوبِ وَالمَعَاصِي مَرَّةً أُخْرَى:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ (الحُجُرَات/ ١١).

أَيْ: بِئْسَمَا تَبَدَّلْتُمْ عَنِ الإِيمَانِ وَالعَمَلِ بِشَرَائِعِهِ، وَمَا تَقْتَضِيهِ؛ بِالإِعْرَاضِ عَنْ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، بِاسْمِ الفُسُوقِ وَالعِصْيَانِ.

فَالْمُؤْمِنُ يَقْبُحُ مِنْهُ أَنْ يَأْتِيَ بَعْدَ إِيمَانِهِ بِفُسُوقٍ؛ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ (الأَنْعَام/ ٨٢)، فَبِئْسَ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ، وَبِئْسَ أَنْ تَسَمَّوْا بِالفَاسِقِ بِسَبَبِ هَذِهِ الأَفْعَالِ بَعْدَ مَا سَمَّيْتُمُوهُمْ مُؤْمِنِينَ.

فَحَتَّى الأَنْبِيَاءُ يَخَافُونَ مِنَ الوُقُوعِ فِي المَعَاصِي وَيَسْأَلُونَ اللهَ أَنْ يُبْعِدَهُمْ عَنْهَا؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى عَنْ نَبِيِّهِ إِبْرَاهِيمَ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ (إِبْرَاهِيم/ ٣٥).

---

(١) حَدِيثٌ حَسَنٌ: رَوَاهُ الحُمَيْدِيُّ (ح ٢٧٥)، وَأَحْمَدُ (٦/ ١٥٩، ٢٠٥)، وَالتِّرْمِذِيُّ (ح ٣١٧٥)، وَابْنُ مَاجَهْ (ح ٤١٩٨). وَانْظُرْ: الصَّحِيحَة لِلْأَلْبَانِيِّ (ح ١٦٢).

وَكَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ:(١) «**يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ! ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**». فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ الله! آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ؛ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ، إِنَّ القُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الله يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا قَالَ:(٢) «**وَعِزَّتِي! لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ؛ إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**».

وَقَالَ اللهُ عَنِ المَلَائِكَةِ الَّذِينَ هُمْ أَذِلَّاءُ تَحْتَ قَهْرِهِ: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ (النَّحْل/ ٥٠).

(١) حَدِيثٌ حَسَنٌ بِشَوَاهِدِهِ: قَدْ وَرَدَ عَنْ أَكْثَرَ مِنْ صَحَابِيٍّ: رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَغَيْرُهُمَا. وَانْظُر: «الصَّحِيحَة» لِلْأَلْبَانِيِّ (ح ٢٠٩١)، وَصَحِيح الجَامِع (ح ٣٠٨١، ٣٠٨٢).

(٢) حَدِيثٌ حَسَنٌ: رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ (ح ٦٤٠)، وَالبَزَّارُ (١٤/ ٣٤٢)، وَغَيْرُهُمَا. وَانْظُر: «الصَّحِيحَة» لِلْأَلْبَانِيِّ (٧٤٢) «صَحِيح الجَامِع» (ح ٤٣٣٢).

obeikandl.com